الأسس العامة للتربية في فكر جون جاك روسو من خلال كتاب إيميل

The General Foundations of Education in the Thought of Jean-Jacques Rousseau through Email's Book

سعيد رضا[1*]، مسعود طيبي[2]

[1] المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)، mrsaidrida@gmail.com

[2] المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)، ens_philo16@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/11/01 تاريخ القبول: 2021/11/27 تاريخ النشر: 2021/12/25

ملخص:

ان اعتبار التربية هي محاولة ايصال الشئ الى كماله وباعتبارها عاملا حاسما في حياة الفرد والجماعة فان تتخذ مرجعيات اساسية في تشكلاتها وتمثلاتها للوصول الى الغايات التربوية المنشودة، ولعل اهم الاصول التي تتخذها التربية هي تلك الاسس الفكرية او الفلسفية، ومن هذا الباب نشير الى احد اعلام وأساطين فلسفة التربية وهو الفيلسوف جون جاك روسو احد فلاسفة التنوير، ويعتبر كتابه اميل احد اهم المراجع التربوية فهو يرى بوجوب التربية الطبيعية مؤكدا على ان الطبيعة هي العامل الاساسي .

دعو الطفولة تنمو في الأطفال، دعو الطبيعة تعمل عملها ، فمن منظوره ان التربية الطبيعية هي ترك الطفل يكتشف عالمه بنفسه ويحاول إدراك الأشياء المحيطة به عن طريق التفاعل معها مع مراعاة قوانين الطبيعة ،ومن أهم أسس التربية عند روسو هو الإيمان ببراءة الطفل ومراعاتها في عملية التربية دون تشويهها مع ما يتنافى معها من سلوكات اجتماعية وعادات وتقاليد تنقص من طبيعتها الخيرة .

كلمات مفتاحية: التربية.، الأسس الفكرية.، جون جاك روسو.، إيميل.، الطفل.

Abstract:

Considering education is an attempt to bring something to its perfection, and as a decisive factor in the life of the individual and the group, it takes basic references in its formation and representations to reach the desired educational goals. Perhaps the most important assets that education takes are those intellectual or philosophical foundations, and from this section we refer to one of the flags and masters of the philosophy of education,

the philosopher John Jacques Rousseau, one of the philosophers of the Enlightenment. From this section we refer to one of the great figures and masters of the philosophy of education, the philosopher Jean-Jacques Rousseau, one of the philosophers of the Enlightenment, and his book Emile is considered one of the most important educational references, as he sees the necessity of natural education, stressing that nature is the main factor.

One of the most important foundations of education according to Rousseau is the belief in the innocence of the child and taking it into account in the process of education without distorting it with what contradicts it in terms of social behaviors, customs and traditions that detract from its good nature.

Keywords: Education., Intellectual Foundations., Jean-Jacques Rousseau., Emile., Child.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

تعتبر التربية من أهم العمليات التكوينية للفرد لتطويره في جميع مجالات الحياة الفردية والاجتماعية، ونظرا لأهميتها البالغة تعتمد التربية على الفكر كدعامة أساسية في سبيل تطبيق اهدافها على الفرد بالدرجة الأولى وعلى المجتمع بالدرجة الثانية، لذلك تتطور التربية حسب تطور الفكر، ولعل الدرجة أو تطور الآراء والنظريات التربوية في العالم منذ العصور البدائية حتى القرن العشرين، جعل فلسفة التربية باقية على مفهومها الجوهري دون تغيير، وهو تطوير الفرد وإعداده مما هو كائن إلى ما ينبغي جعل أن يكون من أجل التكيف محيطه والمجتمع القائم فيه لإحداث تنمية وتطور فإن الفرد ينتمي حيث يجد شروط النمو فيحقق التنمية إلا أن المفكرين والفلاسفة اختلفوا حول مفهوم التربية وأسسها وتطبيقاتها من فيلسوف إلى أخر، ولعل أهم فكرة يتوافق عليها جمهور الفلاسفة أن الفلسفة روح التربية مهما كان نوعها فهي تعكس واقعها المعاش وما دامت الفلسفة تفكير تأملي شامل يهدف إلى فهم الواقع وتفسيره، مثلما يسعى إلى تغييره من أجل الإرتقاء بالطبيعة الإنسانية، فلا يكون ذلك إلا برؤية تربوية جادة وإذا سلطنا الضوء على مراحل تطور الفكر التربوي لوجدنا أن فلسفة التربية تتماشى مع الأوضاع الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية بشكل أساسي ومن هنا نرى أن كل فكر تربوي هو جزء من النظرية الفلسفية لكل فيلسوف حسب الأوضاع التي

يعيشها في زمان معين ومكان معين، وبهذا النحو فإن الفلسفة بصفة عامة هو التفكير التأملي الشامل الذي ينطلق مما هو كائن الى ما ينبغي أن يكون فإن فلسفة التربية هو جزء من هذا التأمل وهو نقل الفرد والمجتمع من حالة إلى حالة، ورغم اختلاف الآراء والنظريات التربوية من فيلسوف الى آخر كل حسب ظروفه.

فقد كان ظهور النظرية التربوية الطبيعية في القرن الثامن عشر كنظرية تقوم على تربية الطفل من قبل الطبيعة وكان ظهورها ما هو إلا افرازات لأوضاع سياسية واجتماعية ودينية بشكل عام في أوروبا وفرنسا بشكل خاص ويعتبر جون جاك روسو 1712-1778 رائد النظرية الطبيعية والتي شغل بها مكانة مرموقة بين فلاسفة ومفكري عصر التنوير والإصلاح الذي شهدته اوروبا في القرن الثامن عشر حيث يؤكد على ضرورة الاهتمام بالطفل والنشأ واحترامهم وإتاحة الفرصة لهم للتعلم بالتجربة ويعتبر كتاب "ايميل" أهم مرجع تربوي تركه روسو للمهتمين بالتربية للاعتماد عليه في التربية والتعليم وطرق التدريس وكان عاملا مؤثرا في النهضة في المجال التربوي ولذلك كان فكر جون جاك روسو محل اهتمام المعاصريه أمثال: فولتير - مونتيسكو - ديدرو- كوندياك.

لذلك نحاول في هذه الفقرة تسليط الضوء على نشأة الفيلسوف جون جاك روسو من حيث المولد والنشأة والعوامل التي أثرت في شخصيته من عوامل أسرية واجتماعية وسياسية ودينية والتي أثرت في بناء البنية النفسية والفكرية لديه فروسو ولد جنيف السويسرية عام 1712 من أب بروستانتي وهو إسحاق روسو وأمه سوزان برنار وهي كذلك ابنة لقس بروستانتي وقد توفيت بعد مولده بفترة وجيزة، بالإضافة أنه كاد أن يموت بعد وفاته أمه (روسو، ب س، ص10)، وقد تولت إحدى عماته تربيته في حياته الأولى وقد أثر ذلك سلبا في حياته بعد وفاة أمه قائلا في ذلك "كانت تحب زوجها حبا مبرحا، وكنت أنا الثمرة التعسة لهذه المودة، إذ ولدت بعد عشرة أشهر ضعيفا سقيما، وقد كبدت أمي حياتها، وكان مولدي أول ما حاق بي من نحس وتعاسة" (روسو، ب س، ص25)، إلا أن تربية عمته له كان من الناحية البيولوجية فقط إذ أنها أهملته ولم تعتن به من ناحية التنشئة الاجتماعية الصحيحة وهذا ما كان سببا في انحرافه أخلاقيا.

وقد اهتم والده في عمر السادسة من عمره إلى تعليمه القراءة، فكان يقرأ له القصص والروايات، فكان يقضيان الليل كله في ذلك، وكانت قراءته غير منتظمة ومن بينها قصص الغراميات والرومنسية وتارة قصص مشاهير الرجال لذلك سمح لروسو الاطلاع على بعض الأحاسيس والمشاعر قبل أوانها مما كان لها أثر كبير في إثراء الفكر عند روسو (روسو، 1995، ص82).

وفي سن العاشرة من عمره تركه أبوه عند خاله بعد ارتكابه مخالفة في مدينة جنيف، إلا أن خاله قد ضاق به ذرعا فأرسله مع ابنه إلى قس بروستنتي يدعى (لابمرسيه) يقيم في ريف مدينة (بوسي)، حيث تعلم روسو التعاليم الدينية وكيفية الصلاة لله، وكذا حب الطبيعة مما جعله يتأثر بالطبيعة – وهذا ما نحاول تسليط الضوء عليه في التوجه الطبيعي عند روسو (روسو، 1995، ص37).

وبعدها انتقل روسو إلى حفارة ليتعلم فن النقش فقد أبدع في هذه المهنة حيث زاولها أكثر من ثلاث سنوات، وبعدها التقى روسو مع قس كاثوليكي فأرسله إلى منزل سيدة ليكون خادما لها تدعى (مدام دي فاران) حيث حاولت هذه السيدة أن تجعل منه كاثوليكيا، وتعتبر هذه المرحلة التي تمرد فيها روسو على البروستانتية (روسو، 2012، ص06)

إلا أن الوضع لم يستقر على ذلك ولم يعجبه الوضع في قصر (مدام دي فاران) وقد ساعده في ذلك قس قام بزيارة لذلك القصر، وبعد ذلك غادر روسو ذلك القصر سنة 1731، وظل عاطلا عن العمل متجولا في طرقات مدينة (أنسي) وقد طال به الوضع إلى التشرد، ولعل هذه التقلبات وعدم الاستقرار ضاعف الاضطرابات النفسية لديه خاصة أنه يمر بمرحلة المراهقة، فاشتد الحلق به وعدم الرضى على ذاته مما ولد لديه إنطواء، وقد حاول روسو الخروج من هذه الحالة متجها إلى الفنون ولاسيما الموسيقى التي مارس تعليمها وقد بقي روسو على هذه الحال حتى بعد عودته لباريس موطنه الحقيقي، لأن مولده في جنيف في سويسرا لا يفي أنه من أصل سويسري بل أبواه من أصول فرنسية، فقد بقي منشغلا بالتآليف والتأطير في مجال الموسيقى (روسو، 2012، ص08).

تعرف روسو في هذه المرحلة على سيدة تدعى (مدام دوبين) فقد أعجب بها وكتب رواية لها أسماها (عرائس الشعر الرقيقات) فكانت سبب في عمله في القنصلية الفرنسية في البندقية، إلا أنه كما ذكرنا لا يحب الاستقرار في عمل أو مهنة يجد فيها قيود أو انصياع لأي جهة.

ثم عاد مرة أخرى لباريس، وبينما هو في أحد الفنادق تعرف بامرأة تدعى (تيريز لوفاسور) فقد اتخذ زوجة له وقد اعتبرها رفيقته في الحب والعاطفة، ويعترف أنها كانت غبية وكانت لا تحسن شيء من القراءة والكتابة فكانت لا تجيد حتى قراءة الساعة ولا أيام الأسبوع ولا الأشهر.

إلا أنه كان شديد الإعجاب بها، مشفقا عليها تارة، وراضيا بجمالها تارة أخرى، فكان يتجاوز عيوبها وقد دامت مدة زواجهما أكثر من اثني عشرة سنة وقد تغير حب (تيريز) له وأصبحت لا تبالي به

وقد طلبت الطلاق منه بعدما أنجبت منه خمسة أولاد وقد كان مصيرهم الميتم بعد فراقهما، وقد كان هذا أشد وقعا في نفس روسو (روسو، 1995، ص ص11-12)

وقد نجد أيضا أن زواج روسو من (تيريز) راجع أيضا إلى ميوله الطبيعي فقد كان روسو غير مكترث بالنساء المتعلمات لأنه كان قد عايشهم عن قرب ويعتبر أن العيش معهم أيضا يشكل له عوائق وقيود لا يستطيع التعايش معها لذلك قرر العيش مع هذه المرأة لبساطتها وقطرتها التي كانت تعتبر طبيعية عند روسو، لذلك يمكن استنتاج أن ميول روسو الطبيعي كان له تأثير حت في بداية حياته الاجتماعية قبل حياته الفكرية (روسو، 1995، ص13)

وقد حاول روسو البحث عن زوجته وأبنائه بعد مرور أربعة عشرة سنة من فراقهم، إلا أن جميع محاولاته باءت بالفشل وهذا راجع لعدم توفر سجلاتهم آنذاك عند وضعهم في الميتم وكان هذا أشد تأثيرا عليه في جميع حياته، ولعل هذه الحالة جعلته يهتم بعملية التربية ويعطيها اهتمام كبير في حياته الفكرية حيث يقول "ومن لم يقدر على القيام بواجب الأب لن يحق له أن يكون أباً على الاطلاق، ولا يوجد فقر ولا حياء يعفي من إعاشة أبنائه وتنشئتهم بنفسه، فيا أيها الفقراء صدقوني، فإنني أنبئ كل من يحمل حبا أبويا فيهدر كل هذه الواجبات بالغة القداسة، بأنه سيبكي بكاء مرا زمنا طويلا لما اقترف من إثم" (روسو، 1958، ص58).

أما في سنة 1749 شارك روسو في مسابقة أعلنتها أكاديمية (ديوجين) في موضوع هل أدى تطور العلام والفنون إلى فساد الأخلاق وإصلاحها فقد فاز فيها روسو على تقديمه الدليل على أن تطورها أدى إلى فساد الأخلاق، فقد لمع نجم روسو بعد فوزه بالجائزة وهذا بعد مقاله في العلوم والفنون وكتابه الثاني في عدم المساواة بين الناس (روسو، ب س، ص883).

عاد روسو إلى البروستانتية 1754، وقد أشار إلى ذلك في كتابه إيميل ناصحا تلميذه أن لا يغير دين أبائه، وعدم الارتداد عنه لأنه لا يوجد على وجه الأرض دين أنقى منه وأكثر قبولا لدى العقل وعدم الحياد للرجوع إلى الحق.

توالت عنه فيما بعد لكن حياته انتكست وقد تخيل الناس أعداء له فانطوى على ذاته وظل كذلك وفاته1778.

1. الإيمان ببراءة الطفل:

يرى جون جاك روسو أن الطبيعة البشرية خيرة ومفطورة على البراءة وهذا ما نجده في براءة الطفل "يخرج كل شيء على يد الخالق صالحا، وكل شيء على أيدي البشر يلحقه الاضمحلال" (روسو، 1958، ص24)، ونحو ذلك فالإيمان ببراءة الطفل التامة وخيرية طبيعته الأصلية فروسو ينكر أي وجود للانحراف في قلب الإنسان، أما ما يوجد في قلبه من حقد وكراهية وحسد وأنانية ما هي إلا سلوكات اكتسبها من مجتمع فاسد وبيئة مشبعة بهذا الأخير، ونعني بهذا أن الإنسان يولد على فطرة خيرة أما مجتمعه وبيئته يطبعانه حسب طبيعتهما وهذا ما نجده في قول النبي محمد صلى الله عليه وسلم "ما من مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه أو يمجسانه"، وهذا إشارة إلى الفطرة السوية والصفة اللصيقة بكل مولود ينشأ بها ويكبر بها.

فأحيانا يكون تدخل الوالدين في عملية التربية تشويه للفطرة وإنحرافها، خاصة إن كان تاريخ تنشئتهما الاجتماعية فيه نوع من الإنحراف ومظاهر السلبية والصور الفاسدة المخالفة لطبيعة الطفل البريئة، فتدخل الوالدين ربما يكون له أثر سلبي على طبيعة الطفل البريئة فكثير منهم يربون أبناءهم على تجاربهم الشخصية وهذا خطأ كبير، لأن الطفل يعيش زمن غير زمنهم أو مكان غير مكانهم، أو يربون أبناءهم على عرف وتقاليد القبيلة والعشيرة وهذا هو المجتمع، فبطريقة غير شعورية يوجه الطفل إلى أن يكون نسخة لأبيه أو أمه في السلوكات والأقوال وحتى نمط التفكير ويكون بذلك الطفل مسخا لأبيه، وكأن أباه ولد من جديد، لأن الإنسان في عقله الباطن يحب أن يتصور في كل الأشياء وأن يضع بصمته فيها، فو يحب المسخ والإمساخ ولا يحب الشيء على الوجه الذي أوجدته عليه الطبيعة حتى ولو كان هذا الشيء إنسانا مثله، لأنه يحب أن يروض كل شيء على هواه (روسو، 1958، ص24). وهكذا نجد أن روسو يرى أن دور الوالدين في تربية الطفل يقتصر في حماية فطرة طفلهما من الفساد والانحراف على ما هي عليه، خاصة في السنوات المبكرة في عملية التربية إلا أن نقل التجربة الاجتماعية والنفسية إلى الطفل مباشرة دون مراعاة لفطرته الخيرة فيها ضرر جسيم على الطفل كفرد وعلى المجتمع لأن الأخلاق والعادات والتقاليد ستتكرر من جيل إلى جيل وسيكون كل فرد ومجتمع ما هو إلا مسخ لما سبقه، لذلك يرى روسو أن التربية الطبيعية هي أن يتعود عليها الإنسان وهي الإنقياد إلى رغباته وأهدافه وميولاته الطبيعية دون أن يعتاد على تقاليد ليست من طبيعته وإنما هي مكتسبات المجتمع الذي يحاول سلخه من طبيعته، لذلك يوصي روسو على أن خير عادة يعتادها الإنسان أن لا

يعتاد شيئا "وكذلك ميول الناس، فما لبث المرء على حالته، احتفظ بالعادات التي أقحمت على طبيعته لكن متى زالت تلك الحالة، إن انقطعت العادة وإرتد الحال إلى الطبيعة" (روسو، 1958، 25).

ومن هنا نجد أن من أهم أسس التربية عند روسو هو الإيمان ببراءة الطفل ومراعاتها في عملية التربية دون تشويهها مع ما يتنافى معها من سلوكات إجتماعية وعادات وتقاليد تنقص من طبيعتها الخيرة "لقوله تعالى": "فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها، لا تبديل لخلق الله، ذلك الدين القيم، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. (القرآن الكريم، سورة الروم، الآية 05).

الإعلاء من شأن الطبيعة:

يرى روسو أنه من الضروري أيضا الإيمان بوجوب مراعاة قوانين الطبيعة في عملية تربية الطفل وهو التربية الطبيعية للإنسان لأنها تساعد الطفل في تفتح شخصيته وصقلها وتعليمه روح الاعتماد على النفس والإحساس بالمسؤولية وتحمل العقبات والصِّعاب التي تواجهه "إن الطفل الذي يكبر من غير أن يتمرس بالألم يظل بلا خبرة وبلا شجاعة حتى أنه يتوهم الموت من أول وخزة ويغمى عليه عندما يرى أول قطرة تسيل من دمه، وليست هذه التربية التي نتحراها (روسو، 1958، ص74). والتربية المثلى التي يحاول روسو أن يصبو إليها وفق قوانين الطبيعة وهي تعود الطفل على قوانينها والتعود عليها لأنها تعتبر طبيعته الأولى وهي تعلم حياة البساطة والتقشف والصبر والاعتدال على كل شيء والاعتماد على النفس وتحمل الألم وعدم التعود على أن ينال كل شيء وأن لا يعتاد أن يتكل على الغير، فالاعتماد على النفس أساس كل تقدم وتطور فإن اتصف الفرد بهذه السمة سيكون فردا فعالا في مجتمعه وأن يكون ضمن مجتمع قوي وعظيم، وبهذا يكون الفرد ذو عزم وقوة، فالاعتماد على النفس وتحمل العقبات تجعل من الطفل مسؤول عن أعماله فيقوم بواجباته خير قيام ويتعلم المثابرة والجهد والمثابرة والاستمرار ويكون بذلك يرسم خطى نجاحه وتقدمه وإن التوكل على الغير يزيد من تهاونه وكسله وهو بذلك يرسم خطى شقائه وتعاسته (اليماني، 2004، ص82)، يقول تعالى: "لا يكلف الله نفسا إلا وسعها، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت" (القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 05)، سورة البقرة وهذه الآية الكريمة توضح قيمة الأفعال لكل شخص بالنسبة إليه، وهي توضح أن الأفعال الصالحة أو غير ذلك تعود لكل فرد حسب درجة التعود على نفسه والشعور بالمسؤولية إتجاهها، وإن الاعتماد على النفس والإستناد إلى الجهد الشخصي من أسس استغلال الشخصية، وعلى العكس فإن الاعتماد على الآخر وانتظار العون منهم والمساعدة هو أساس الحرمان المادي والمعنوي ويسبب الذل والهوان في أنظار الناس وهذا ما أكد عليه روسو في ترك الطفل يتربى حسب قوانين الطبيعة سواء

كانت إيجابية أو سلبية حيث يقول: "والطفل الذي لا يشتهي شيئا إلا حصل عليه، سيخيل إليه أنه مالك الكون وسينظر إلى جميع الناس كأنهم عبيد ... والطفل الذي يشعر بالحقد والغيظ من شهواته التي لا ترتوي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يكون سعيدا، وكيف يكون سعيدا وأنه تحول إلى طاغية، والطاغية المستبد هو أذل العبيد وأشقى المخلوقات في آن واحد" (روسو، 1958، ص88). وهذا ما نجده في تدخل المجتمع والأسرة في تربية الطفل خاصة الوالدين اللذان يفرطان في محبة طفلهما ولكن له عوارض وخيمة وهي سبب تعاسته وشقائه طيلة أيام عمره، ومن العوارض الوخيمة أن ينشأ الطفل معجب بنفسه مدللا وأن ينشأ أيضا طفيليا وعالة على غيره ولا يشعر بفضيلة الاعتماد على النفس ولا يستطيع بذلك الشعور بالاستقلالية عن الغير، لذلك يرجو روسو من التربية داخل الأسرة هو أن تكون موجهة للحفاظ على فطرة الطفل والحفاظ عليها من الإنحراف والفساد لا من أجل إفسادها وتحريفها عن ما هي عليه فالتربية في السنوات الأولى هي أصعب وأخطر مراحل التربية للطفل "فلنترك للطفولة ممارسة الحرية الطبيعية، تلك الحرية التي تبعد الأطفال ولو إلى حين عن الرذائل التي نصاب بها حتما تحت نير العبودية، وليتفضل أولئك المأدبون القساة وأولئك الآباء الخانعون لأطفالهم وليأتوا باعتراضاتهم على آرائي ولكن أوصيهم قبل أن يختالوا بحججهم الواهية التافهة وأساليبهم السقيمة أن يتتلمذوا قليلا على الطبيعة الحكيمة" (روسو، 1958، ص94).

التربية السلبية:

يؤكد روسو على التربية السلبية وهي نفسها التربية الطبيعية ويعني بذلك أن يترك الطفل يكتشف عالمه بنفسه ويحاول إدراك الأشياء المحيطة به عن طريق التفاعل معها عن طريق حوادث ووقائع وحتى وإن كان ذلك مسببا له الآلام والانتكاسات بدون أن يشكل خطر على حياته فالتعلم عند عامة الناس هو أن يلقن الطفل صور لفظية تشير بنفسها عن صور حسية في الواقع، آملين بذلك أن يدركها على شكل صور ذهنية إلا أن روسو يرى أن هذا التعلم عقيم نوعا ما، لأن الطفل لم يحس فيزيولوجيا بهذه الأشياء التي ينبغي له أن يتعلمها ويتربى عليها بصورة عكسية فإن لقنّا الطفل صورة لفظية وهي النار من أجل أن نشير إلى صورة حسية واقعية على النار الموجودة في الخارج آملين على أن يدرك النار على شكل صورة ذهنية لكن المشكلة هنا أن الطفل لم يدرك المعنى الحقيقي للنار بما أنه لم يتأثر بها حيث يقول: "لا ينبغي أن نلقن التلميذ صور لفظية فالتجربة وحدها هي التي يجب أن نتولى تعليمه وتأديبه فالتربية الأولى ينبغي أن تكون سلبية خالصة ولا يجب أن يفوتنا أمر مراقبة الطفل وسلوكه كي نكشف بدقة عن المزاج الخاص للطفل" (روسو، 1958، ص98). وبذلك نرى أن المنهج

التربوي عند روسو يرى في التجربة الحسية عاملا مهما في اكتساب خبرات وصور ذهنية حقيقية للأشياء لا على أفكار مبنية على الملاحظة أو الفرضيات في وعينا بالأشياء ومن أجل توضيح ذلك لو أننا علمنا الطفل السباحة كسلوك إيجابي وهو محاولة أن يطفو فوق سطح الماء وأن يحاول أن يتفاعل من مكان إلى مكان آخر في الماء، سنكون قد حققنا تربية إيجابية، أما إن حاولنا أن نربيه تربية سلبية يجب علينا أن نعلمه معنى الغرق ليستطيع بذلك إدراك معنى السباحة من الناحية المادية والمعنوية فمن الناحية المادية أن السباحة هي محاكاة لسلوك الأسماك وأنها رياضة ترفيهية ومن الخصال الجيدة بالنسبة للطفل خاصة بعد تقدم سنه ومن الناحية المعنوية أن السباحة هي نجاة من الغرق الذي يؤدي بنا إلى الموت أو هي عبارة عن سلوك أخلاقي وشجاع خاصة إذا استعملها الطفل في إنقاذ حياة إنسان آخر كان على وشك الغرق، إلا أن تربيتنا للطفل عن الغرق لا تكون بصورة نظرية بل أن يترك الطفل يواجه الغرق بنفسه وأن نجعله يشعر بالخطر وأنه على وشك الموت وبهذا نكون قد نقلنا له صورة الغرق كصورة حسية لتتكون له صورة ذهنية تترسخ له كصورة لفظية تبقى وشما له في حياته التجريبية مدركا معناها الحقيقي "فلنحول إحساسنا إلى أفكار بل يجب أن يكون وصولنا إلى تلك الأشياء المعقولة عن طريق الاشياء المحسوسة، وأن تكون الحواس مرشدة الفكر ودليله إلى عملياته الأولى، ولا ينبغي أن يكون هناك كتاب للفتى غير كتاب الدنيا من حوله ولا ينبغي أن يكون هنالك تعليم أو إرشاد إلا ما تلقنه إياه الحوادث والوقائع" (روسو، 1958، 152)، وهنا نجد توافق روسو مع ابن طفيل من خلال كتابه حي ابن يقظان من حيث التربية الطبيعية واعتبار أن الطبيعة بحوادثها من أهم ما يجب أن يتلقاه الطفل في حياته الأولى .

الإيمان بأن الطفل له ميوله وخصائصه:

يرى روسو أنه من الواجب في العملية التربوية أن نراعي ميول وخصائص الطفل في كل مرحلة وأن لا نجعلها متطابقة مع ميول وخصائص الكبار، أما من جهة أخرى يجب مراعاة ميول الطفل في كل مرحلة من مراحل النمو ونعني بها من التربية الأولى إلى غاية الخامسة عشر، وهذا ما أكده علم النفس التربوي بعدما ظهر علم النفس وطبق المنهج التجريبي على الظاهرة النفسية فعلم النفس الطفل ينقسم إلى اقسام تختلف كل مرحلة عن المرحلة الأخرى إلا أن كل مرحلة هي تمهيد المرحلة التي تليها "أيها الناس، كونوا أشد إنسانية، فهذا هو واجبكم الأول، كونوا رحماء بجميع الطبقات، وبجميع الأعمار، وبجميع من هم ليسوا غرباء على البشرية فأي حكمة يمكن أن تكون لكم إن أخرجتكم عن إنسانيتكم؟ أحبوا الطفولة وارعوا في مودة لهوها وملذاتها وطبيعتها اللطيفة" (روسو، 1958، ص74).

وهنا إشارة واضحة لروسو من أجل تربية إيميل حسب ميوله وحاجاته ومصالحه وتكون من اهتمام العملية التربوية وفي ضرورة التمييز بين الأعمار في مراحل النمو المختلفة ومحاولة إقامة العملية التربوية في كل مرحلة على أساس خصائص تلك المرحلة، وفي الإيمان أن العملية التربوية مستمرة باستمرار الحياة، ولذلك يرفض روسو أن يربى الطفل من أجل مهنة معينة تكبح له جماح حريته وميولاته بل يجب تربيته وإعداده للحياة من أجل أن يكون رجلا وإنسانا.

تربيته على الضمير الأخلاقي والديني:

يؤمن روسو أن التربية الطبيعية للطفل بعدما كانت مادية جسمية تتطور إلى بعدها النفسي وذلك من أجل إحداث توافق بين الروح والجسد وذلك من أجل العقل السليم في الجسم السليم، وفي هذه المرحلة يبدأ الاهتمام بتكوين الصفات الخلقية وتنميتها كالشجاعة والتقشف والصبر على الألم المادي والمعنوي والاعتماد على النفس وتقدير الحقوق المتبادلة وذلك يكون عن طريق الخبرة والتجربة في حياته الاجتماعية وكل هذا سينمي وعيه وقدراته العقلية وتنمية روح المبادرة عنده وبهذا نرسم له طريق الصواب نحو التربية الدينية حيث يؤكد روسو أن التربية الخلقية تسبق التربية الدينية لأن تشبع الطفل بالقيم الخلقية تجعله يشعر بمطلقيتها وهذا فيه نوع من الشعور بالحرية لذلك يرى الدين المناسب الذي يعتقده حيث يقول "إن أنوار العقل لا تستطيع أن تتعدى بنا حدود الدين الطبيعي وهذا ما سأكتفي به مع تلميذي إيميل، وإن وجب أن يكون لهه دين آخر غير ذلك الدين فليس من حقي أن أكون مرشده، بل له وحده أن يختار ذلك الدين بنفسه" (روسو، 1958، ص114).

ولذلك يرى روسو أنه من أجل بناء إنسان بصورة متكاملة وجب على العملية التربوية بكل وسائلها السعي إلى بناء ضمير أخلاقي وديني حسب مقتضيات الطبيعة وفطرته الخيرة فالدين هو كل ما استخلصناه لأنفسنا فأضمرناه ووعيناه وعشناه، فيرى أن الطبيعة البشرية تحتوي على الخير والشر فالخير ما هو مكنون في أنفسنا بالفطرة والشر هو ما عشناه واكتسبناه من مجتمعنا لكن بالتربية يمكن للإنسان التوفيق بينهما عن طريق الحرية والإرادة والاعتماد على النفس وهذا ما نجده في القيم الخلقية (اليماني، 2004، ص184).

الأسفار والرحلات الخارجية إكتمال للعملية التربوية:

هو إيمان روسو بأن الأسفار والرحلات الخارجية هي خير ما يختم به الشاب دراسته المنظمة، لأن من هذه الأسفار أن تنمي أفقه العقلي وتزيد من معرفته للشعوب وتغير اتجاهه ومفاهيمه وتهذب أخلاقه وتحافظ على فطرته الخيرة لأن في الاختلاط والتعارف تقوى وصلاح "ذلك أن الأسفار تدفع

بالفطرة إلى نهايتها القصوى، فتتم على الرجل صلاحه أو فساده الفطري، إن الشاب الذي ساءت تربيته يجد في الأسفار مجالا فسيحا لإشباع بوادر فساده فيلتقط من الشعوب التي يخالطها شر ما لديها، أما الشاب الذي حسنت تربيته، فيسافر بقصد تحقيق، ويعود من سفره وقد تمت له الحكمة والفضيلة" (روسو، 1958، ص329).

اختلاف تربية الرجل والمرأة:

يرى روسو وجب الترفقة بين تربية الرجل والمرأة من حيث وظيفتهما في الحياة، لذلك وجب للمربي مراعاة هذا الاختلاف ولا نعني بالاختلاف هو الفصل بينهما بالتباين بل من أجل تحقيق إنسجام طبيعي بينهما كأدوات لإستمرارية الحياة "إنهما من حيث الجانب المشترك بينهما متساويان، أما من ناحية التباين فلا وجه للمقارنة بينهما، وبهذا التباين يتولى أول اختلاف في الصلات الخلقية بينهما فأحد الجنسين ينبغي أن يكون إيجابيا قويا والجنس الآخر يجب أن يكون سلبيا ضعيفا وبذلك يجب أن يكون أحد الجنسين مريدا قويا ويتفاعل معه الجنس الآخر أن يبدي مقاومة يسيرة

4. خاتمة:

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول بأن كتاب إيميل يعتبر من الدساتير التربوية التي تركها روسو للمربين من أجل الرجوع إليها في تربية الطفل تربية سليمة تتماشى مع طبيعته وفطرته الخيرة، وإن المبادئ الأساسية التي نادى بها روسو هو أن ينشأ الطفل بعيدا عن التربية الاجتماعية السابقة وأن يحظى بطبيعة التربية الخالصة وأن تكون تربية الأسرة موجهة ومرشدة دون أن تتسبب في خلل تربوي له.

5. قائمة المراجع:

1. جون جاك روسو، الاعترافات، ج1، ترجمة حلمي مراد، دار النشر للطباعة والنشر، بيروت.
2. جون جاك روسو، العقد الاجتماعي، ترجمة عادل زعيتر، ط2، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1995.
3. جون جاك روسو، دين الفطرة، ترجمة عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2012.
4. جون جاك روسو، إيميل أو تربية الطفل من المهد إلى الرشد، ، ترجمة نظري لوقة، تقديم الأستاذ أحمد زكي محمد، الناشر الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، 1958، صدر المؤلف باللغة الأصلية سنة 1762.
5. القرآن الكريم.
6. عبد الكريم علي اليماني، فلسفة التربية، الطبعة العربية الأولى، الإصدار الأول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، 2004.